

دلائل الإعجاز

ولكن° لأن يتأتى لك إذا نظمت شعراً° والفت رسالة° أن تحسن التخيّر° وأن تعرف لكل° من ذلك موضعه .

وأمر° آخر° إذا تأملته الإنسان أن يف من حكاية هذا القول فضلاً عن اعتقاده وهو أن° المزيّة° لو كانت تجب من أجل اللغة والعلم بأوضاعها وما أراد°ه الوضع فيها لكان ينبغي أن لا تجب إلا بمثل الفرق بين الفاء وثم° وإن° وإذا وما أشبه ذلك مما يعبر عنه وضع لغوي . فكانت لا تجب بالفعل وترك العطف بالحذف والتكرار والتقديم والتأخير وسائر ما هو هيئة° يُحدثها لك التأليف° ويقتضيها الغرض° الذي تؤم° والمعنى الذي تقصد° وكان° ينبغي أن لا تجب المزيّة° بما يبتدئه الشاعر والخطيب° في كلامه من استعارة اللفظ لشيء لم يستعبر° له وأن° لا تكون الفضيلة° إلا في استعارة° قد تُعورفت° في كلام العرب وكفى بذلك جهلاً .

ولم يكن هذا الاشتباه° وهذا الغلط° إلا° لأنه ليس في جملة الخفايا والمشكلات أغرب° مذهباً° في الغموض ولا أعجب شأناً° من هذه التي نحن بصدد°ها ولا أكثر تفلّساً° من الفهم° وإن°سلاً° منها . وأن° الذي قاله العلماء° والبُلغاء° في صفتها والإخبار عنها رموز° لا يفهمها إلا° من° هو° في مثل حالهم من° لطيف الطبع° ومن° هو مهَيّأ° لفهم تلك الإشارات . حتى كأن° تلك الطبائع اللطيفة° وتلك الفرائج والأذهان° قد تَواضعت° فيما بينها على ما سبيله سبل° التّرجمة يتواطأ° عليها قوم° فلا تَعْدُو°هم ولا يعرفونها من° ليس من°هم .

وليت شعري من° أين° لمن لَم° يتعب° في هذا الشأن ولم يمارسه ولم يوفّر° عنايته عليه أن ينظر° إلى قول الجاحظ° وهو يذكر إعجاز القرآن : " ولو أن رجلاً قرأ على رجلٍ من° خُطباءهم وبلغائهم سورةً قصيرةً أو طويلةً لتبيّن° له في نظامها ومخرجها من° لفظها وطابعها أنه عاجز° عن مثلها ولو تحدّس° بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها " وقوله وهو يذكر رواية°